



العمل الفني: عيسى المالكي - قطر



د. حسن رشيد

لا يطرح المؤلف والمخرج المسرحي القطري عبد الرحمن المناعي في نصه المسرحي الجديد «المرزام» موضوعاً عابراً، ولا شكلاً بوليسياً، ولكن ينسج عبر حكايته عالمه الخاص. لم يلجأ إلى الحكايات الشعبية أو الطرح الواقعي الآني، ولا إلى الفنتازيا أو الأسطورة، أو الموروث الشعبي... ومع ذلك فقد مزج كل هذا..

## شخص عبد الرحمن المناعي

(المطوع - والسقاء) [كلاهما؛ المطوع والسقاء لا ينتميان إلى المجتمع، وإن كانا جزءاً من نسيج المجتمع ويتحولان إلى ضحايا لاحقاً لأبي ناصر]..

بجانب ثنائية ضبابية الملامح بين (بو ناصر - وأم داود) والأسئلة التي تطرح حول (جفال) مجنوب القرية؛ هذا النموذج الذي يعي ويبرك العديد من الأمور كما في حوار مع خادم: - خادم: أنا مجنون بالخيال..

- جفال: أيه مجنون.. عيل حد يكلم روحه..

في جُل الأعمال وعبر عطاء ممتد لم يخلق عبد الرحمن المناعي شخصيات تنصف بـ(الشر) سوى في هذا العمل؛ ذلك أن (بو ناصر) يمارس اضطهاده على مجموعة كبيرة من أبناء الحي (المدينة) مثل (المطوع)، الذي يثير غضبه لأنه يطرح نجاسة الكلب؛ هذا الكلب المرتبط بالمحافظة على أم داود! والسقاء الذي يثير غضبه وعدوانيته، لأنه يتحدث عن تبشير أم داود للماء! و بو بر الذي يشتكي من مرزام أم داود! كما أن فريق المناصرين لسيدهم وولي نعمتهم بو ناصر، جاهزون للإدلاء بأرائهم التي توافق أطروحات بو ناصر.

- بو خلف: وأم داود خوش مره.. كافه عافه.. مره ستيره تخاف الله.. والمسكينة ما عندها حد.

أما بو ناصر.. فهو دائم السؤال عن (الخبيل) وما حصل

واختيار عنوان (المرزام) قد يشكل على البعض لغزاً، فلماذا اختاره؟! وهناك العديد من الأعمال التي ارتبطت بمضامين خلقت علاقة مع الطرح مثل (قلعة برست، حصان طروادة، عموم الزير، خان الخليلي...) وعشرات النماذج. وقد يكون نقطة الارتكاز في بعض الأحيان (حيوان ما) مثل: فيل أبرهة، كلب أصحاب الكهف، حمار العزيز. هذا فيما يخص التراث الإنساني، والمؤلف من حقه اختيار العنوان الذي يراه يصب في مصلحة النص، وكثير من المؤلفين يهربون إلى تحميل الماضي وقائع الحاضر أو يحملون الأطروحات على أسنة الطيور والحيوانات؛ ومن يقرأ بإمعان «ألف ليلة وليلة» يكتشف أبعاد الأمر، كما في «كليلة ودمنة»، وحكايات «أيسوب».

نحن بإزاء نص ينسج خيوطه (النوخنا بو إبراهيم) عبر استحضار الماضي القريب. نشم فيه رائحة البحر، والثروة، والأتباع، والصراع بين الممكن والمستحيل... ولكن (المرزام) الذي كان له دور ذات يوم عبر بيوت الطين قد ولي عصره، واستحضاره في هذا النص لم يكن مجانياً ولا شكلاً فلكلورياً يغلف الحكاية.

في نص «المرزام» هناك ثنائيات بين (ببر - روزه)، (عائشة - جفال)، (بو سند - بوخلف)، (عبدالله - مبارك)،

له: ماذا يهيمه من أمر (الخبيل) هل الأمر عائد إلى كونه فرداً من نسيج الحي الذي ينتمي إليه؟ ولكن في تعدد حواراته ليس هناك دليل على هذا الأمر.

- بو ناصر: هذه هي ديرتنا إن افتكينا من عائشة بنت عائشة والخبيل جفال ما فتكينا من بو بدر وسالفته مع أم داود. ويعزف الجوقه (بو سند و بو خلف) على وتر التصديق على كل ما يأمر به بو ناصر.

- بو خلف: المجنون نقتله يا عم.. والمخرف نربطه في بيته أما بو بدر ما عنده سالفة البيت بيتها والكلب كلبها والمرازم على سطحها.. ماله حق يا عم.

ومع أن الموضوع في ثنائية القضايا لا يخرج عن محور (أم داود)، سواء (المرزام) أم (الكلب)؛ ذلك أن التحدي لا يواجه فقط بو بدر، ولكن ها هو مصطفى مكتو بنات المشكلة:

- مصطفى: المشكلة.. الكلب يا عمي..

مصطفى رقم آخر في ملف (بو ناصر) وهو يعمل من أجل أن يعيش، وسلطة بو ناصر نافذة. وها هو يطرح سؤاله..  
- بو ناصر: مصطفى (يقف بخوف) أمس ودبت ماي حق بو بدر؟

- مصطفى: لا.. مثل ما أمرتني يا عم..  
- بو ناصر: واليوم بعد لا تودي له.. سامع..  
- مصطفى: بس ليش يا عم؟

في عرف السادة، السؤال والاستفسار أمر غير مرغوب فيه، ومصطفى لا يعرف أبعاد اللعبة، يعتقد في قرارة نفسه أن بمقدوره أن يطرح تساؤله.

المشهد الثاني في مسرحية «المرزام»، استحضار لليالي السمرة القيمة، هذه العادة التي كانت مغلقة بالصحبة الجميلة، ولقاء الأحبة يتسامرون ويسردون القصص والحكايا، ويتحول المكان إلى حلقة نقاشية لطرح المواضيع التي تلامس الواقع المعاش، وكثيراً ما كان الغناء سيد السمرة. من هنا فإن الجميع، وبخاصة في ليالي الصيف، يخلق وشائج حب مع الآخر في ظل عدم وجود وسيط آخر مثل الراديو والتلفزيون والسينما. وحكايات السمرة امتداد لحكايات الحياة؛ في هذا المشهد يرفع (مسعود) عقيرته بالغناء، ويكون التهديد مرة أخرى، كي يخرس المنشد والمغني، لأن هذه أوامر السيد (بو ناصر).

- عبد الله: لا ما فينا شدة الجوع.. إحنا على الله وعلى هالوجبة اللي يعطينا إياها.

الخوف سيد الموقف.. ليس الخوف من المجهول، ولكن من انقطاع لقمة العيش..

- عبد الله: بل ما نتحجه.. أنا شقلقت.. قلت سالفة العام يوم بو بدر طلب روزه حق ولده..

ويأتي التهديد من قبل (خادم) عبد الله.

الشخص الإيجابي في هذا النص، والذي ينفذ الغبار عن الموقف، هو عبد الله الذي يعلق على استهلاك أم داود للماء.

- عبد الله: الناس مب محصله ماي حق اليدد.. تغسل

به السطح

ومع أن المجتمع صغير، إلا أن هذا المجتمع يحتفظ أيضاً بأسراره.

- جابر: اللحين هالخبيل شيصير حق هالخبلة؟

- خادم: مربيته.. عقب ما قطوه هله

- جابر: ومنهم هله؟

- خادم: وأنا شدراني يا يبه.. عقب ما عرفوا إنه مب عدل قطوه..

هل يعلم خادم بأمر ما؟ وهل هو مجبر خوفاً من عدم الإفصاح عن هوية (جفال)؟ كما أن (عبد الله) يرسل بين حين وآخر رسائل قصيرة للمجموعة حول بو ناصر الذي يمارس اضطهاده على الجميع (ما في قلبه رحمة).

الخوف يغلف الجميع سواء في حضور (بو ناصر) أو غيابه وعندما يشتهي (مصطفى) من واقع الحال، ومن معاناته من (أم داود) يهدده خادم (مصطفى حط بالك لا يسمعك بو ناصر). والسؤال.. لماذا؟ وعندما يصر الجميع بمن فيهم (خادم) على معرفة أبعاد المشكلة مع أم داود:

- مصطفى: آخ شاقول.. كل بيوت الديره أودي لهم ماي مرة مرتين وهي تبيني أودي لها ماي خمس مرات كل يوم.. كل يوم خمس مرات.

- عبد الله: دام تغسل سطحها بماي؟

- خادم: (محرراً) عبد الله..

ولا يجد السمار ملجأ سوى تكلمة السهر على (سيف البحر) ذلك أن ثورة (بو ناصر) لا يقدر عليها أحد.

المشهد الثالث: عزف على العلاقات بين قلبين؛ روزه وبدر. روزه الواقعية وإن كانت اللقاءات العابرة مغلقة أيضاً بطرح موضوع المرزام. وإذا كان هذا الموضوع قد سدّ الطريق أمام إتمام العلاقة (علاقة الحب بالاقتران) فهي تؤكد أن والده وإن سدّ الطريق ما سدّ القلوب. وروزه تعي وتترك مدى العلاقة بين والدها وأم داود، وإن كانت تشير ولا تفصح.

- روزه: أدري يا بدر أنا أقولك عن أبوي اللي ما يرضى عليها ولا يحب حد يتعدى عليها. أو يتكلم في سيرتها..

إن الابنة تعرف مدى حرص والدها على (أم داود) وخادم.. خادم بو ناصر يلمح إلى غضب سيده عند الإفصاح عن سيرة (أم داود).

وإذا كان (عبد الله) يمثل تيار المواجهة، وإن كان غمزاً ولمزاً، فإن عائشة لا تخشى أي فرد من جوقه (بو ناصر) هاهي تواجه التابع بو سند:

- بو سند: أساعدك يا عووش..

- عائشة: لا عشت ولا عاشت أيامك يا نيل..

ثم تواجه ناصر..

- عائشة: مالت على الرجاجيل.. بس علي عووش يا

شيخ الديره..

- بو ناصر: انجلعي.. انجلعي يا لخبلة..

- عائشة: هنا جفال يا بو ناصر.. قلبك فارقتة الرحمة..

في المشهد الرابع والختامي تكون روزه في حالة توتر؛ فالحبيب، الذي كان يسرق اللحظات من أجل لقاء عابر، غائب. كما أن (جفال) غائب دون أن يعلم أحد أين هو، والحديث عند لقائهما لا يخرج عن تأكيد ظلم (بو ناصر) بدءاً بمنع مصطفى من جلب الماء إلى منزل (بو بدر)، كما أن غياب (مصطفى) وإن حاول (بو ناصر) أن يكون بريئاً من غيابه، إلا أنه المحرك الأساسي لكل القضايا والمشاكل بنفوذ وسيطرة ماله وثروته، وبجرة قلم تخلص من (المطوع والسقاء).

- عائشة: وين جفال يا بو ناصر.. وين وديتو جفال.. وهكذا يتم اتهامه صراحة بغياب (جفال) وتؤكد بالقول (المصايب ماتيجي إلا من وراك)، كما أن غياب (بدر) يبعث القلق في نفس والده الذي بحث عنه في كل مكان دون أن يجده.

تتجسد المأساة في نهايتها عبر الدم الذي ينهمر من المرزاق، والكلب، وتهمة بو ناصر أن (بدر) هو السبب؛ ألم يهددهم بالأمس، ويأتي خادم بالخبر المبني على المجهول!  
- خادم: نتفه يا عم الكلب نتفه (لا حول الله.. من اللي قاله يروح بيت المره ويركب سطحها.. حصل جزاه.. مسكين يا بو بدر)

هذا التأكيد من قبله بأن الجثة الممزقة لبدر، ولكن ما يخرس لسانه حضور بدر.. وأن صاحب الجثة (جفال) تعقب عائشة..

- عائشة: وشبتقول له.. قول له كلب أم داود نتفه.. قول له الجرو اللي عطيته أم داود كبر وصار أنيابه سكاكين.. قطعه.. ومرزاق أم داود عقب ما صب على راسنا الماي والبول صار يصب دم.. قوله الكلب نبح جفال يا شيخ البلد.. - بو ناصر: جفال.. لا.. لا.. ما يصير.. جفال (يصرخ ويبكي.. يهجم على جثة جفال) لا.. جفال..  
- عائشة: اللحين..

في النهاية يعري المؤلف كل الخيوط؛ فشل (بو ناصر) في اغتيال بدر ليضم الاسم إلى بقية الأسماء التي انتهت منها مثل (عبد الله، السقاء، ومصطفى) فهو يرفض أي صوت آخر غير صوته، ويكون الثمن رحيل (جفال) الذي تبرأ منه ذات يوم، وقامت عائشة بتربيته. هل قام جفال بزيارة أمه الحقيقية (أم داود) مجرد سؤال؟

المناعي في هذا العمل لم يبتعد عن المضامين الاجتماعية واستحضار روح الماضي القريب. وبو ناصر صورة للنوخذنا القديم، صورة تغير عوالم البحر بعوالم لا تبتعد عن البحر. والمناعي في هذا الإطار سيد المواضيع؛ من المحلية يخلق نسيجاً أبعد من صراع البحر والغاصة. عالم من الحكايات التي تعري كل المجتمعات وفي كل العصور. وعبر المشاهد الأربعة يسرد علينا آخر إبداعاته، ذلك أن المناعي مؤلف عاش ألف عام وارتوى من كل الحكايات، ولأنه صاحب عين راصدة، يلتقط كل شيء، حتى مرزاق قديم يعتلي سطح بيت قوائمه من الطين وقلوب ساكنيه من الياسمين.



النص لا يفصح عن كنهه (جفال) ولا عن علاقة جفال بسيد القوم (بو ناصر)، ولكن المؤلف هل يضع حوار هباء؟ هل جفال ثمرة علاقة ما مع (أم داود)؟ وإلا لماذا تطرح عائشة هذا التساؤل (هنا جفال يا بو ناصر)؟

المرزاق - يشكل المحور - نقطة الارتكاز، ذلك أن كل الأحداث تصب منه في الحي. ولأنه يرتبط عضوياً بمضمون سيده النار (أم داود)، وهنا ما يجعل بو ناصر يطرد (عبد الله)، لأنه أثار (نجاسة الكلب)، مما أثار غضب بو ناصر مراراً وتكراراً حتى إنه لا يتورع عن طرد (المطوع)؛ فأى موضوع يلامس سيرة (أم داود) يثير غضبه. وعندما يواجهه (بدر) بمأساتهم حول (بول كلاب أم داود) يزداد غضباً ويأتي بمنشديه من كلاب السفارة سواء بو خلف أو بو سند حول منزل (بو بدر).

- بو ناصر: حياك الله يا مطوع.. وانتو كل واحد بيسوي سوات المطوع بيصير له ما صار له.. هذا أنا حنرتكم (يضحك) ولا تنسون تبون اتعشون خادم مسوي لكم مرقة هامور (يواصل قهقهته وهو خارج مع بطانته).

تهديد (بو ناصر) ليس مبطناً، وهو في تهديده ينكرهم بنعمته واللقمة التي تسدر مقهم.